باب الأسد وابن آوى

قالَ دَبْشَليمُ الملِكُ لبيْدَبا الفيْلسوفِ: قدْ سَمِعْتُ هذا المثَلَ فاضربْ لي مثَلَ الملِكِ الذِي يُراجِعُ منْ أصابَتْهُ منهُ عقُوبةٌ منْ غيرِ جُرْمٍ أو جَفْوَةٌ منْ غيرِ ذنْبٍ.

قالَ الفيْلَسُوفُ: إنَّ الملِكَ لوْ لمْ يُراجِعْ مَنْ أصابتْهُ منهُ جَفْوَةٌ عنْ ذنْبٍ أوْ عنْ غيرِ ذنْبٍ ظُلِمَ أوْ لمْ يُظْلَمْ لأضَرّ ذلكَ بالأُمورِ، ولكنَّ الملِكَ حَقِيقٌ أنْ يَنْظُرَ في حالِ مَنِ ابْتُلِيَ في ذلكَ ويَخْبُرَ ما عنْدَهُ منَ المنافعِ فإنْ كانَ ممَّنْ يُوثَقُ بهِ في رأيهِ وأمانتهِ فإنّ الملكَ حَقيقٌ بالحِرْصِ على مُراجعتهِ، فإنَّ المُلْكَ لا يُسْتَطاعُ ضَبْطُه إلاّ معَ ذَوِي الرَّأيِ وهمُ الوُزَراءُ والأعْوانُ، ولا ينتفع بالوُزراءِ والأعوانِ إلاَّ بالموَدَّةِ والنَّصيحةِ، ولا مَوَدّةَ ولا نصِيحةَ إلاّ لذوِي الرّأيِ والعَفافِ، وأعمالُ السُّلْطانِ كثيرَةٌ والذِينَ يَحْتاجُ إليْهِمْ من العُمَّالِ والأعوانِ كثيرُونَ، ومَنْ يَجمَعُ منهمْ ما ذَكرْتُ منَ النَّصيحةِ والعَفافِ قليلٌ، والمثلُ في ذلكَ مثَلُ الأسدِ وابنِ آوَى. قال الملِكُ: وكيْفَ كانَ ذلكَ.

[الأسد وابن آوى]

قال الفيْلَسوفُ: زعَموا أنَّ ابْنَ آوَى كان يَسكُنُ في بَعْضِ الدِّحالِ[1] وكانَ مُتزَهِّداً مُتعفِّفاً معَ بَناتِ آوَى وذِئابٍ وثَعالِبَ ولمْ يكنْ يَصنَعُ ما يَصْنَعْنَ

(١) الدحل: نقب ضيق فمه متسع أسفله بحيث يمشى فيه.

ولا يُغِيرُ كما يُغِرْنَ ولا يُهْرِيقُ دَماً ولا يأكلُ لحماً ولاَ يَظْلِمُ طَرْفةَ عيْنٍ فخاصَمَتْهُ تلْكَ السَّباعُ وقُلْنَ: لا نَرْضَى بسيرَتِكَ ولا رأيكَ الذي أنتَ عليْهِ منْ تَزَهُّدِكَ معَ أنَّ تَزَهُّدَكَ لا يُغْنِي عنكَ شيئاً، وأنْتَ لا تَسْتطِيعُ أن تكونَ إلاَّ كأَحِدِنا تَسْعَى مَعنا وتَفْعَلُ فِعْلَنا. فما الذي كفَّكَ عنِ الدِّماءِ وعنْ أكْلِ اللَّحْمِ؟ قال ابنُ آوى: إنَّ صُحْبتي إيَّاكُنَّ لا تُؤَثِّمُنِي[1] إذا لمْ أُؤَثِّمْ نفْسِي لأنَّ الآثامَ ليْسَتْ منْ قِبَلِ الأماكنِ والأصْحابِ، ولكِنَّها منْ قِبَلِ القُلوبِ والأعمالِ. ولوْ كانَ صاحِبُ المَكانِ الصَّالحِ يكونُ عملُهُ فيهِ صالِحاً، وصاحِبُ المكانِ السيِّءِ يكونُ عملُهُ فيهِ سيِّئاً كانَ حينئذٍ مَنْ قتَلَ النّاسِكَ في مِحْرَابِهِ لمْ يَأثَمْ، ومَنِ اسْتَحْياهُ في مَعْرَكةِ القِتالِ أثِمَ. وإني إنما صَحِبْتُكُنَّ بنفْسِي ولمْ أصْحَبْكُنَّ بِقلْبي وأعمَالِي لأني أعْرِفُ ثمَرَةَ الأعمالِ فلَزِمْتُ حالِي.

وثَبَتَ ابْنُ آوَى على حالهِ تِلْكَ واشتَهَرَ بالنُّسْكِ والتَّزَهُّدِ حتى بَلَغَ ذلكَ أسداً كانَ مَلِكَ تلكَ النَّاحيَةِ، فرَغِبَ فيهِ لِما بَلَغَهُ عنهُ منَ العفافِ والنَّزاهةِ والأمانةِ فأرْسَلَ إليْهِ يَسْتَدْعِيهِ، فلمَّا حَضَرَ كلَّمَهُ وآنسَهُ، ثمَّ دَعاهُ بعْدَ أيَّامٍ إلى صحْبتِهِ وقالَ لهُ: تعْلَمُ أنَّ عُمَّالِي كثيرٌ وأعوَاني جَمٌّ غَفيرٌ[2] وأنا معَ ذلكَ إلى الأعْوَانِ مُحْتَاجٌ، وقدْ بَلَغني عنك عَفافٌ فازْدَدْتُ فيكَ رَغْبةً، وأنا مُوَلِّيكَ منْ عمَلي جَسيماً ورَافِعُكَ إلى منزِلةٍ شَريفَةٍ وجاعِلُكَ منْ خاصَّتي. قال ابنُ آوى: إنَّ المُلوكَ أحِقَّاءُ[3] باخْتِيارِ الأعوَانِ فيما يَهْتَمُّونَ بهِ منْ أعمالِهِمْ وأمُورِهِمْ وهُمْ أحْرَى ألاَّ يُكرِهُوا على ذلكَ أحداً، فإنّ المُكْرَهَ لا يَسْطَيعُ المُبالغةَ في العمَلِ، وإني لِعَمل السُّلْطانِ كارِهٌ وليسَ لي بهِ تَجْرِبةٌ ولا بالسلْطانِ رِفْقٌ، وأنتَ مَلِكُ السِّباعِ وعنْدَكَ منْ أجْناسِ الوُحوشِ عَدَدٌ كثيرٌ

(١) أي تجعلني أثيماً مذنباً.
(٢) جم غفير: كثير.
(٣) أحقاء: جمع حقيق أي جدير.

فيهِمْ أهْلُ نُبْلٍ وقوَّةٍ ولهمْ على العَمَلِ حِرْصٌ، وعِنْدَهمْ بهِ وبالسلْطانِ رِفْقٌ، فإنِ استَعْمَلْتَهمْ أغْنَوْا عنكَ واغْتَبَطُوا لأنفُسِهمْ بما أصابَهمْ منْ ذلكَ.

قال الأسدُ: دَعْ عنْكَ هذا فإني غيرُ مُعْفِيكَ منَ العمَلِ. قال ابنُ آوى: إنما يَسْتطيعُ خِدْمةَ السلْطانِ رَجُلاَنِ لسْتُ بواحِدٍ منهُما. إمَّا فاجِرٌ مُصانِعٌ[١] يَنالُ حاجتَهُ بفُجُورِه ويَسْلَمُ بمُصانَعتهِ. وإمَّا مُغفَّلٌ لا يَحْسُدهُ أحدٌ. فمنْ أرادَ أنْ يَخدُمَ السلطانَ بالصِّدْقِ والعَفافِ فلا يَخْلِطُ ذلكَ بمُصانَعتهِ وحينئذٍ قَلَّ أنْ يَسْلَمَ على ذلكَ، لأنهُ يَجْتمِعُ عليهِ عدُوُّ السلْطانِ وصَدِيقهُ بالعَداوَةِ والحَسَدِ، أمَّا الصَّدِيقُ فيُنافِسهُ في مَنزِلتهِ ويَبْغِي عليهِ فيها ويُعادِيهِ لأجْلِها، وأمَّا عدُوُّ السلْطانِ فيَضْطَغِنُ[٢] عليْهِ لنصيحته لِسُلْطانهِ وإغْنائهِ عنهُ فإذا اجتَمَعَ عليهِ هَذانِ الصِّنْفانِ فقدْ تَعَرَّضَ للهَلاكِ.

قال الأسدُ: لا يَكُونَنَّ بَغْيُ أصْحَابي عليْكَ وحسَدُهمْ إيَّاكَ ممَّا يَعْرِضُ في نفْسِكَ فأنتَ مَعي وأنا أكْفِيكَ ذلكَ وأبلُغُ بكَ منْ دَرجاتِ الكَرامَةِ والإحْسانِ على قدْرِ همّتِكَ. قال ابنُ آوى: إنْ كانَ الملِكُ يُريدُ الإحسانَ إليَّ فلْيَدَعْني في هذهِ البَرِيّةِ أعيشُ آمِناً قليلَ الهَمِّ راضِياً بعَيْشِي منَ الماءِ والحَشِيشِ، فإني قدْ عَلِمْتُ أنَّ صاحِبَ السلطانِ يَصِلُ إليْهِ منَ الأذَى والخَوْفِ في ساعةٍ واحدَةٍ ما لاَ يَصِلُ إلى غيرِه في طُولِ عُمْره، وإنَّ قليلاً منَ العَيْشِ في أمْنٍ وطُمَأْنينةٍ خيرٌ منْ كثيرٍ منَ العيْشِ في خَوْفٍ ونَصَبٍ[٣] قال الأسدُ: قدْ سَمِعْتُ مَقالَتكَ فلا تَخَفْ شيئاً ممَّا أراكَ تخاف منهُ، ولسْتُ أجِدُ بُدًّا منَ الاسْتِعانةِ بكَ في أمري.

قال ابنُ آوى: أمَّا إذْ أبَى الملكُ إلاّ ذلكَ فلْيَجْعَلْ لي عَهْداً إنْ بَغَى

(١) مصانع: مداهن.
(٢) يضطغن: يحقد.
(٣) النصب: التعب.

عليَّ أحدٌ منْ أصْحابهِ ممَّنْ هوَ فَوْقي مَخافةً على مَنزِلتهِ أوْ ممَّنْ هوَ دُونِي لِيُنازِعَني في مَنزِلَتي فذَكَرَ عندَ الملِكَ منهمْ ذاكِرٌ بلِسانهِ أوْ على لِسانِ غيرِهِ ما يُريدُ به تَحْمِيلَ[1] الملِكِ عليَّ ألاَّ يَعْجَلَ في أمرِي، وأنْ يَتَثبَّتَ فيما يُرْفَعُ إليهِ ويُذْكَرُ عندَهُ منْ ذلكَ ويَفْحَصَ عنهُ ثمَّ ليَصْنَعْ ما بَدَا لهُ، فإذا وَثِقْتُ منهُ بذلكَ أعَنْتهُ بنفْسِي فيما يَجِبُ وعَمِلْتُ لهُ فيما أوْلاَني بنَصيحةٍ واجْتِهادٍ، وحَرَصْتُ على ألاَّ أجْعَلَ لهُ على نفْسي سَبيلاً. قال الأسدُ: لكَ عليَّ ذلكَ وزيادَةٌ. ثمَّ وَلاَّهُ خَزائنَهُ وٱختَصَّ بهِ دونَ أصْحابِهِ وزَادَ في كَرَامَتِه.

فلمَّا رأى أصْحابُ الأسدِ ذلكَ غاظَهمْ وَساءَهُمْ فأجْمَعوا كيْدَهمْ واتَّفَقُوا كلُّهمْ على أنْ يُحَمِّلُوا عليهِ الأسدِ، وكانَ الأسدُ قدِ اسْتَطابَ لحماً فَعَزَلَ منهُ مِقْداراً وأمَرَ ابنَ آوى بالاحْتِفاظِ بهِ وأنْ يَرْفَعَهُ في أحْصَنِ موْضِعِ طَعامهِ وأحْرَزِه ليُعادَ عليه. فأخذُوهُ منْ مَوْضِعهِ وحَمَلوهُ إلى بيْتِ ٱبْنِ آوى فَخَبأُوهُ ولا عِلمَ لهُ بهِ ثمَّ حَضَرَوا لِيُكذِّبوه إنْ جَرَتْ في ذلكَ حالٌ. فلمَّا كانَ منَ الغَدِ ودَعا الأسدُ بِغَدائهِ فَقَدَ ذلكَ اللَّحْمَ والتَمَسَهُ فلمْ يَجِدْهُ. وابْنُ آوَى لمْ يَشْعُرْ بما صُنِعَ في حَقِّهِ منَ المَكيدَةِ، فَحضَرَ الذينَ عَمِلُوا المَكِيدَةَ وقَعَدُوا في المجْلسِ، ثمَّ إنَّ الملكَ سألَ عنِ اللَّحْمِ وشَدَّدَ فيه وفي المسألةِ عنهُ فنَظَرَ بعْضُهمْ إلى بَعْضٍ.

فقالَ أحدُهمْ قوْلَ المُخْبِرِ النّاصحِ: إنهُ لا بدَّ لنا أنْ نُخْبِرَ الملِكَ بما يَضُرُّهُ ويَنْفَعُه وإنْ شَقَّ ذلكَ على مَنْ يَشُقُّ عليهِ. وإنهُ بلَغَني أنَّ ابنَ آوَى هوَ الذي ذَهَبَ باللَّحْمِ إلى مَنزِلِهِ. قال الآخَرُ: لا أراهُ يَفْعَلُ هذا. ولكنِ انْظُروا وافْحَصُوا فإنّ مَعْرِفةَ الخَلائقِ شديدَةٌ. فقالَ الآخَرُ: لَعَمْري ما تَكادُ السَّرائرُ أنْ تُعْرَفَ، وأظُنُّكمْ إنْ فَحصْتُمْ عنْ هذا وَجَدْتُمُ اللَّحْمَ في بيْتِ ابْنِ آوَى، وكلُّ شيءٍ يُذْكَرُ منْ عُيوبهِ وخِيانتهِ نحنُ أحَقُّ أنْ نُصدِّقَه. قال الآخَرُ: لئنْ وَجَدْنا

(١) تحميل: تهييج.

هذا حَقًّا فليْستْ بالخِيانةِ فقطْ ولكنْ معَ الخِيانةِ كُفْرُ النِّعْمةِ والجُرْأةُ على الملِكِ. قال الآخرُ: أَنتمْ أهلُ العَدْلِ والفضْلِ لا أَسْتطيعُ أنْ أكذِّبَكُمْ، ولكنْ سَيَبِينُ هذا لوْ أرْسَلَ الملِكُ إِلي بيْتِهِ منْ يُفتّشهُ. قال الآخَرُ: إِنْ كانَ الملكُ مُفَتّشاً مَنزِلَهُ فلْيُعجِّلْ فإنَّ عُيونَه[١] وجَواسِيسَهُ مَبْثُوثةٌ[٢] بكلِّ مكانٍ. ولمْ يَزالوا في هذا الكلامِ وأشْباهِهِ حتى وَقَعَ في الأسدِ ذلكَ، فأمَرَ بِٱبْنِ آوَى فَحضَرَ.

فقالَ لهُ: أيْنَ اللُّحْمُ الذي أمَرْتُكَ بالاحْتِفاظِ بهِ؟ قال: دَفَعْتُه إِلى صاحبِ الطَّعامِ ليُقَرِّبهُ إِلى الملِكِ، فدَعا الأسدُ بِصاحبِ الطَّعامِ وكانَ ممَّنْ شايَعَ وبَايعَ[٣] معَ القوْمِ على ابْنِ آوى فقالَ: ما دَفَعَ إِليَّ شيئاً. فأرْسَلَ الأسدُ أمِيناً إِلي بيْتِ ابْنِ آوى لِيُفتّشَهُ فوَجَدَ فيهِ ذلكَ اللَّحْمِ فأتَى به إِلى الأسدِ، فدَنا منَ الأسدِ ذئْبٌ لمْ يكُنْ يَتكلَّمُ في شيءٍ منْ ذلكَ وكانَ يُظْهِرُ أنهُ منَ العُدُولِ[٤] الذينَ لا يَتكلَّمُونَ فيما لا يَعْلَمُونَ حتى يَتبيَّنَ لهمُ الحَقُّ. فقالَ: بعْدَ أنِ اطَّلَعَ الملِكُ على خِيانةِ ابْنِ آوى فلا يَعْفُوَنَّ عنهُ فإنهُ إِنْ عَفا عنهُ لمْ يَطَّلِعِ الملِكُ بعْدَها على خِيانَةِ خائنٍ ولا ذَنْبَ مُذْنِبٍ. فأمَرَ الملِكُ بِٱبْنِ آوَى أنْ يُخْرَجَ ويُحْتَفَظَ بهِ. فقال بعْضُ جُلَساءِ الملِكِ: إِني لأعجَبُ منْ رأيِ الملِكِ ومعْرِفَتِهِ بالأمُورِ كيْفَ يَخْفَى عليهِ أمْرُ هذا ولمْ يَعْرِفْ خِبَّهُ ومُخادَعتَهُ، وأعْجَبُ منْ هذا أني أرَاهُ سيَصْفَحُ عنهُ بعْدَ الذي ظَهَرَ منهُ.

فأرْسَلَ الأسدُ بَعْضَهمْ رَسُولاً إِلى ابْنِ آوى يَلْتمِسُ منهُ العُذْرَ، فَرَجَعَ إِليهِ الرَّسولِ برِسالةٍ كاذِبةٍ اختَلَقَها[٥]، فغَضِبَ الأسدُ منْ ذلكَ وأَمَرَ بابْنِ آوى أنْ يُقتَلَ، فعَلِمَتْ أمُّ الأسدِ أنهُ قدْ عَجِلَ في أمرِهِ فأرْسَلَتْ إِلى الذِينَ أمِرُوا

(١) العَيْن: الجاسوس.
(٢) مبثوثة: منتشرة.
(٣) شايع وبايع: تابع.
(٤) العُدُول ج عَدْل: بمعنى عادل.
(٥) اختلقها: ادَّعاها.

بقتْلِهِ أنْ يُؤخِّرُوهُ، ودَخَلَتْ على ابْنِها فقالتْ: يا بُنيَّ بأيِّ ذنْبٍ أمَرْتَ بقتْلِ ابنِ آوى؟ فأخبَرَها بالأمرِ فقالتْ: يا بُنيَّ عَجلْتَ وإنمَا يَسْلَمُ العاقلُ منَ النَّدامةِ بتَرْكِ العَجَلَةِ وبالتثبُّتِ، والعَجَلةُ لا يَزالُ صاحِبُها يَجْتني ثمرَةَ الندامةِ بِسبَبِ ضَعْفِ الرَّأيِ وليْسَ أحدٌ أحْوَجَ إلى التُّؤَدَةِ والتثبُّتِ منَ المُلوكِ فإنّ المرْأةَ بزَوْجِها والوَلَدَ بوَالِدَيْهِ والمُتَعلّمَ بالمُعلّمِ والجُنْدَ بالقائدِ والناسِكَ بالدِّينِ والْعامّةَ بالمُلوكِ والمُلوكَ بالتَّقْوَى والتَّقْوَى بالعقْلِ والْعقْلَ بالتثبُّتِ والأناةِ، ورَأسُ الكلِّ الحَزْمُ، ورَأسُ الحزْمِ للملِكِ معرِفةُ أصْحابِهِ وإنْزَالُهمْ مَنازِلَهمْ على طَبَقَاتِهمْ واتّهامُهُ بَعْضَهمْ على بَعْضٍ فإنهُ لوْ وَجَدَ بعضُهمْ إلى هَلاَكِ بعْضٍ سَبيلاً لَفَعَلَ.

وقدْ جَرَّبْتَ ابنَ آوى وبَلَوْتَ رأيَهُ وأمانتَهُ ومُروءَتَهُ ثمَّ لمْ تَزَلْ مادِحاً لهُ راضِياً عنهُ، وليْسَ ينبغي للملِكِ أنْ يُخَوِّنَه بعدَ ارْتِضائهِ إيَّاهُ وائْتِمانِه لهُ ومُنْذُ مَجيئهِ إلى الآنَ لمْ يَطَّلعْ لهُ على خِيانةٍ إلاّ على العِفَّةِ والنَّصِيحةِ، وما كانَ منْ رأيِ الملكِ أنْ يُعَجّلَ عليهِ لأجْلِ طابِقِ[1] لَحْم، وأنتَ أيُّها الملِكُ حَقِيقٌ أنْ تَنْظُرَ في حالِ ابْنِ آوى، وتَعْلَمَ أنهُ لمْ يكنْ يَتَعَرَّضُ لِلَحْم ولا يَأكلُه فكيْفَ لِلَحْمٍ استَوْدَعَتَهُ إيَّاهُ، ولعَلَّ الملِكَ إنْ فَحَصَ عنْ ذلكَ ظَهَرَ لهُ أنَّ ابْنَ آوى لهُ خُصَماءُهُمْ الذينَ ائْتَمَرُوا بهذا الأمرِ وهمُ الذينَ ذَهَبوا باللَّحْمِ إلي بيْتهِ فوَضَعُوهُ فيهِ، فإنّ الحِدَأةَ إذا كانَ في رِجْلِها قِطْعةُ لحمٍ اجتَمَعَ عليْها سائرُ الطَّيْرِ، والكلْبَ إذا كانَ معَهُ عظْمٌ اجْتَمَعتْ عليهِ الكلاَبُ، وابْنُ آوى مُنْذُ كانَ إلى اليَوْمِ نافعٌ وكانَ مُحتَمِلاً لكلِّ ضَرَرٍ في جَنْبِ منْفعَةٍ تَصِلُ إلَيْكَ ولكلِّ عَناءٍ يكونُ لكَ فيهِ راحةٌ ولمْ يكُنْ يَطْوِي دونَكَ سِرًّا.

فبينما أمُّ الأسدِ تَقُصُّ عليهِ هذهِ المَقالةَ إذْ دَخَلَ عليهِ بعْضُ ثِقاتهِ فأخبرَهُ بَبراءَةِ ابْنِ آوى. فقالتْ أمُّ الأسدِ: إنَّ الملِكَ بعدَ أنِ اطَّلَعَ على بَراءَةِ

(١) طابق لحم: قطعة منه أو نصف الشاة ويقال للوعاء الذي يطبخ فيه طابق.

ابنِ آوى حَقِيقٌ ألاَّ يُرَخِّصَ لمنْ سَعَى بهِ[١] لئلاَّ يَتجَرَّأوا على ما هوَ أعظَمُ منْ ذلكَ بلْ يُعاقِبُهمْ عليهِ لكيْ لا يَعُودُوا إلى مثْلِهِ، فإنهُ لا ينبغي للْعاقلِ أنْ يُراجِعَ في أمرِ الكَفُورِ للْحُسْنَى، الجَرِيءَ على الغَدْرِ الزَّاهِدَ في الخيْرِ الذي لا يُوقِنُ بالآخرَةِ، وينبغي أنْ يُجْزَى بعَمَلِهِ، وقدْ عَرَفْتَ سُرْعةَ الغضَبِ وفَرْطَ[٢] الهَفْوَةِ، ومَنْ سَخِطَ باليَسيرِ لمْ يَبْلُغْ رِضاهُ بالكثيرِ، والأوْلَى لكَ أنْ تُراجِعَ ابنَ آوى وتَعْطِفَ عليهِ ولا يُؤنسنَّكَ منْ مُناصَحتهِ ما فَرَطَ منكَ إليْهِ منَ الإساءَةِ، فإنَّ منَ النّاسِ منْ لا يَنْبغي ترْكُهُ على حالَ منَ الأحوالِ وهوَ مَنْ عُرِفَ بالصَّلاَحِ والكَرَمِ وحُسْنِ العَهْدِ والشُّكْرِ والوَفاءِ والمحبَّةِ للنّاسِ والسَّلامةِ منَ الحسَدِ والبُعْدِ منَ الأذَى والاحتمالِ للإخْوانِ والأصْحابِ وإنْ ثَقُلَتْ عليهِ منهمُ المؤُونةُ[٣]. وأمَّا مَنْ ينبغي ترْكُهُ فهوَ مَنْ عُرِفَ بالشَّرَاسةِ ولؤْمِ العهْدِ وقلةِ الشُّكْرِ والوَفاءِ والبُعْدِ منَ الرَّحمةِ والوَرَعِ واتَّصَفَ بالجُحُودِ لثوابِ الآخرَةِ وعِقابِها وقدْ عَرَفْتَ ابنَ آوى وجَرَّبتَهُ وأنتَ حَقِيقٌ بُمواصلَتِهِ.

فدَعا الأسدُ ابْنِ آوى واعتَذَرَ إليهِ ممَّا كانَ منهُ ووَعَدَهُ خيْراً وقال: إني مُعْتَذِرٌ إليْكَ ورَادُّكَ إلى مَنزِلَتِكَ. فقال ابْنُ آوى: إنّ شَرَّ الأخِلاّءِ مَنِ التَمَسَ منفعةَ نفْسهِ بضَرِّ أخيهِ ومنْ كانَ غيرَ ناظِرٍ لهُ كنظَرِه لنفْسهِ أو كانَ يُرِيدُ أن يُرْضِيَهُ بغيرِ الحقِّ لأجْلِ اتِّباعِ هَواهُ وكثيراً ما يقَعُ ذلكَ بينَ الأخِلاَّءِ، وقدْ كانَ منَ الملِكِ إليَّ ما علِمَ، فلا يَغْلُظَنَّ على نفْسهِ ما أخبرُهُ بهِ أني به غيرُ واثِقٍ، وأنهُ لا ينبغي لي أنْ أصْحَبَهُ فإنَّ المُلوكَ لا ينبغي لهمْ أنْ يَصحَبُوا مَنْ عاقَبُوهُ أشدَّ العِقابِ، ولا ينبغي لهمْ أنْ يَرْفُضُوهُ أصْلاً، فإنَّ ذا السُّلْطانِ إذا عُزِلَ كانَ مُسْتحِقًّا لِلْكرامةِ في حالِ إبْعادهِ والإقْصاءِ له، فلمْ يَلْتفِتِ الأسدُ إلى كلامهِ.

---

(١) سعى به: نمَّ ووشى.
(٢) الفرط: من الإفراط.
(٣) المؤونة: الثقل.

ثمَّ قالَ لهُ: إني قدْ بَلَوْتُ طِباعَكَ وأخْلاقَكَ وجَرَّبْتُ أمانتَكَ وَوَفاءَكَ وصِدْقَكَ وعَرَفْتُ كَذِبَ مَنْ تَمحَّل[1] الحِيَلَ لِتَحْمِيلي عليكَ، وإني مُنزِلُكَ منْ نفْسِي منزِلةَ الأخْيارِ الكُرَماءِ، والكرِيمُ تُنْسِيهِ الخَلَّةُ الواحدَةُ منَ الإحْسانِ الخِلالَ الكثيرَةَ منَ الإساءَةِ، وقدْ عُدْنا إلى الثّقةِ بكَ فعُدْ إلى الثّقةِ بِنا فإنَّ لنَا ولكَ بذلكَ غِبْطةً وسُرُوراً، فَعادَ ابْنُ آوى إلى ولايَةِ ما كانَ يَلي وضاعَفَ لهُ الملِكُ الكرَامةَ ولمْ تَزِدْهُ الأيامُ إلاّ تقَرُّباً منَ السلْطانِ.

(١) تمحل: تحايل.